بين المسار النقدي لبارمان والمقاربة الوظيفية لريس
رواية "الحريق" لمحمد ديب أنموذجا *

ليلى محمدي
قسم الترجمة ـ جامعة باتنة ـ

ملخص:
تتناول المداخلة بالدراسة المحورين الخامس والسادس من الملتقى، وتقوم إشكاليتها أساسا على محاولة تطبيق كل من مسار التحليل النقدي لأنطوان بارمان - الذي أخرج نقد الترجمة من كونه مجرد وصف وتقييم وحكم - وكذا المقاربة الوظيفية لكاتارينا رايس -التي سعت لوضع نموذج منهجي يسمح بالنقد الموضوعي للترجمات - على ترجمة رواية "الحريق" لمحمد ديب. وسيتم من خلالها التحقق من إمكانية إسقاط هذه النظريات على الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية التي تتداخل فيها اللغات والثقافات ويصعب التمييز فيها بين ما هو للنص المصدر أو للنص الهدف.

ومع أن تركيزنا سيكون على كل من بارمان ورايس إلا أن هذا لا يمنع من اللجوء إلى النظريات الأخرى (كنظرية النسق المتعدد لزوهار وتوري وبعض المقاربات الأخرى) دعما للنتائج وتبريرا للخيارات، مع محاولة التوفيق بينها لاستخلاص معايير نقد تقويمية قابلة للتعميم والتطبيق على هذا النوع من الأدب قد تسهم في النهوض بحركة النقد والترجمة على حد سواء.

الكلمات المفتاحية: ترجمة؛ مسار نقدي؛ مقاربة وظيفية؛ أدب جزائري.

مقدمة:

إن ظهور الترجمة كممارسة ضارب بجذوره في القدم[1] إلا أن الدراسات الترجمية التي يفترض أن تؤطرها لم تواكبه، فقد تأخرت في الظهور إلى غاية القرن 18 وذلك بالأعمال النظرية التي قدمها تايتلر.[2] وحديثنا عن الدراسات الترجمية يقودنا حتما إلى الحديث عن فروعها التي تعددت بتعدد النظريات واختلاف وجهات النظر، فسوزان باسنات جعلتها أربعة ميادين تركز على الترجمة كنتاج، ثم على العملية الترجمية في حد ذاتها [3]، أما جيمس هولمس فقسمها إلى قسمين أحده

نظري والآخر تطبيقي[4]. ورغم تعدد التقسيمات لدى منظري الترجمة وممارسيها، إلا أن معظمها - إن لم نقل كلها - جعلت نقد الترجمات ضمن أحد محاورها. فباسنات مثلا ضمته إلى ميدان تاريخ الترجمة، في حين أن هولمس جعل نقد الترجمات ضمن الفرع التطبيقي للدراسات الترجمية ويقصد به التقييم والمراجعة.

إن التطرق إلى نقد الترجمات يبدو للوهلة الأولى أمرا بسيطا، إلا أن سبر أغواره يبين مدى تعقده وتشعبه من حيث المفهوم والمعايير ووجهات النظر. فنايدا مثلا تناول بالتحليل المعايير التي ينبغي استعمالها لتقييم الترجمات، وقسمها إلى ثلاثة أقسام هي:

1- الكفاءة العامة لعملية الإيصال (أي إيصال المعنى) 2- استيعاب الفحوى (ويقصد به الدقة) 3- تكافؤ الاستجابة (أي استجابة المتلقي للنص المترجم).[5]

وبما أن هدف نايدا الأول كان إيصال الرسالة الإنجيلية إلى أكبر عدد من الناس، فإنه لم يول اهتماما كبيرا للنص الأصل، وركز على ملاءمة الترجمة للمتلقي.

وفي هذا السياق أيضا، فإن جدعون توري بدوره - وفي حديثه عن المعايير التي تحكم الفعل الترجمي وتحدد منهجية المترجم - أكد على أن غاية المترجم الأساسية هي إنجاز ترجمات مقبولة في الثقافة المستقبلة[6]، وهو بذلك يشترك مع نايدا في إيلاء الاهتمام للنسق المستقبل.

إن هذه المحاولات التأطيرية لنقد الترجمات وجدت لها صدى كبيرا في الأوساط الأدبية عامة والترجمية خاصة، كما كانت هي بدورها موضوعا للنقد لتؤسس منها أو عليها نظريات أخرى، فالنقد إذًا مهم في مختلف مجالات الحياة، وهو مهم كذلك للترجمة، وفي هذا الصدد يقول بارمان: "لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تخلو البحوث الترجمية من هذا النوع من التحليل أو النقد".

« Aucune recherche traductologique - cela va sans dire - ne saurait se passer de telles analyses ou critiques. » [7]

منهج برمان النقدي:

إن وجود نقد الترجمات - وعلى الرغم من تأخر ظهوره - حقيقة لا يمكن تجاهلها، كما أن منظري الترجمة وممارسيها سلموا بضرورته لأنه يسمح بإعادة إحياء المؤلفات ويتيح عودتها إلى الواقع وانتشارها وتداولها، ويحفز القارئ لإطلاع عليها ويضمن ديمومتها، فحياة المؤلفات مرهونة بالنقد. وفي هذا الصدد يقول برمان (عن شليجل): "النقد [الشعري] يسعى لأن يعرض من جديد ماهو معروض، وأن يمنحه شكلا جديدا، كما أنه يكمِّل المؤلف ويجعله فتيا ويعيد صنعه من جديد..."[8]

إلا أنه وفي المقابل يمكن للنقد أن يفعل الفعل المضاد إن لم يكن مبنيا على أسس سليمة أو كان مجرد أحكام اعتباطية على الترجمة والمترجم، فيقضي بذلك الرأي الخاص للناقد وتقييمه الذاتي غير المؤسس على المؤلف الأصل، وينقل إلى القارئ نظرته التشاؤمية الخاصة، مما قد يدفع بهذا الأخير - أي القارئ - إلى الأخذ بما جاءت به الدراسة النقدية فحسب والتخلي عن قراءة الأصل الذي يضيع في دوامة ويسير عكس التيار في محاولة - غالبا ما تكون فاشلة - لإثبات الذات. لذلك حاول برمان التأسيس لنقد حقيقي للترجمات يضمن حق كل من الأصل والترجمة، وسعى مساره لتفادي النقد اللاذع واللجوء - إن أمكن - إلى البحث عن أسباب الأخطاء في الترجمة.[9]

وهذا يعني أن نقد الترجمات عند برمان لن يبنى على تقييم الترجمات والحكم عليها بأنها "*رديئة*" "mauvaise" - كما دأب السلف على فعله إذ كانوا يبحثون عن مواطن الخطأ حتى في الترجمات الناجحة.[10] لذلك وظف بدل كلمة "رديئة" كلمة "سلبية" أي "négative"، وفي هذا الصدد يعيد توظيف بعض العبارات النقدية لمن سبقوه: أي أن الترجمات تكون سلبية لأنها تحوي أخطاءً قد يكون مردها أنها مخلة بشكل كبير "gravement défectueuses" أو أنها لا تفي بالغرض الشعري المرجو "poétiquement insuffisantes" أو أنها تنبني على مشروع خاطئ"fondées sur un projet erroné"[11].

ويؤكد برمان على أن نقد الترجمات عملة ذات وجهين ، وأن "النقد السلبي تماما ليس نقدا حقيقيا" « Une critique purement négative n'est pas une critique véritable »[12] لذا يتوجب على ناقد الترجمات أن يستخرج الجوانب الإيجابية في النقد من الجوانب السلبية، ويكون ذلك باللجوء إلى "تحليل صارم للترجمة، ولمميزاتها الأساسية، وللمشروع الذي سمح بظهورها، وللأفق الذي أسست من أجله ولوضعية المترجم".[12] وسيتم شرح هذه المفاهيم لاحقا.

إن الترجمة عملية معقدة وصعبة ونتيجتها غير مضمونة، كما أن مجال الخطأ فيها كبير، إذ وعلى الرغم من التزام المترجم بالحرص على الأمانة للنص من جوانبه المختلفة شكلا ومضمونا، إلا أن عين الناقد - وخاصة الناقد الذي لم يمتهن الترجمة يوما - ستجد له حتما عيوبا ونواقص ذاتية. لذا أكد برمان على ضرورة التحليل من أجل استخراج الجانب الإيجابي من الترجمات حتى وإن كانت مخلة، فهي قد تسمح بالتواصل بين المجتمعات وتثري اللغة والأدب الهدف.[13]

عرض برمان لطريقة التحليل:

أشار برمان - عند حديثه عن التحليل - أن هذا المجال لم يكن مستقلا تماما إذ كان يشكل جزءا من الدراسات الأدبية أو التاريخية، وعليه لم يكن له شكل خاص ولا منهجية واضحة، فالدراسات التحليلية في الترجمة كانت تستمد من هذا الميدان أو ذاك، وتَصُوغ ما اقترضته وفقا لاحتياجاتها فحسب، فلم تكن قائمة بذاتها ولا قابلة للتعميم. ولم تبدأ بوادر مجال نقد الترجمات في الظهور إلا في القرن السابع عشر[14] كما أن معظم النظريات كانت غير مكتملة، واستثنى برمان من هذا - طبعا مع بعض الملاحظات - النظرية الشعرية لميشونيك الذي وظف المعارف الجديدة لخدمة نقد الترجمات، وكذا التحليل الوصفي السوسيونقدي لجدعون توري[15] واستمد منهما ليضع منهجية واضحة ومفاهيم خاصة بهذا الميدان.[16] وأكد برمان على أن الأمر لا يتعلق بنموذج يتوجب إتباعه، بل إنه مسار تحليلي ممكن يسمح بالخوض في ميدان نقد الترجمات.

ويبدأ المسار النقدي لبرمان **بـ:**

1- مرحلة القراءة المتمعنة للترجمة:

ويوجه فيها الناقد نظرته المشككة regard méfiant للنص المترجم، ثم نظرته الحيادية والموضوعية. فالناقد يتلقى النص المترجم، إلا انه لا يضع ثقته الكاملة فيه وهذا هو مبدأ النقد. كما على الناقد ألا يصدر أحكاما متسرعة، ويقرأ الترجمة أو الترجمات ويعيد قراءتها دون العودة إلى الأصل.[17]

ويعني هذا أنه لا مجال للمقارنة هنا. ومن خلال هذه العملية يمكن للناقد أن يبين ما إذا كان النص يحترم معايير الكتابة النمطية للغة الهدف أم لا؟ وهل يصلح أن يكون نصا حقيقيا بالمعايير المتداولة للنصوص؟ كما تسمح هذه المرحلة باستخراج المناطق النصية " Zones textuelles" الدالة التي تطرح إشكاليات عند ترجمتها.[18]

2- مرحلة قراءات الأصل:

وتكون بدورها دون العودة إلى الترجمات، إلا أنها تأخذ بالحسبان المناطق النصية التي طرحت إشكالات في الترجمة، فيتم بذلك تعليمها للعودة إليها عند مضاهاة النصوص كالخصائص الأسلوبية وترابط الجمل، وزمن الأفعال، والكلمات المفاتيح وغيرها. كما يجب أن ترافق هذه المرحلة العديد من القراءات والمطالعات المتعلقة بموضوع الترجمة. وتظهر هذه الضرورة جليا في قول بارمان"نترجم بالكتب لا بالقواميس وحدها"

« On traduit avec des livres et pas seulement avec des dictionnaires.[19]

ويوظف برمان مصطلح التحليل الأولي Pré-analyse للدلالة على قراءة الناقد للترجمة لغرض واحد فقط هو مقابلة النصوص فيما بعد.

3- مرحلة البحث عن المترجم:

لم يكن هذا الأمر مقبولا من قبل، إلا أن التطور المنهجي الذي شهدته الترجمة ودراساتها جعل البحث عن المترجم عند إجراء

الدراسات النقدية للأعمال المترجمة أمرا شائعا. فالتعرف على المترجم وعلى ترجماته السابقة أو أعمالَه الحالية والدراسات التي قام بها تسمح بالتقرب منه أكثر لفهم إستراتيجيتِه. إلا أن البحث عن المترجم لوحده لن يكون كافيا، إذ يجب الإطلاع أيضا على موقفه الترجمي ومشروعه للترجمة وأفقه الترجمي، فما المقصود بهذا؟

1-3 الموقف الترجمي:

لكل مترجم علاقة خاصة بمهنته، وكل واحد ينظر إلى الترجمة من منظوره الخاص، وعليه فإن برمان يرى بأن الموقف الترجمي عبارة عن "اتفاق" "compromis" بين نظرة المترجم إلى الترجمة، ودور هذه الأخيرة، والكيفية التي وعى وهضم بها المترجم الخطاب الترجمي.[20] ويمكن التعرف على الموقف الترجمي من خلال مقدمات المترجم والحواشي، وكذا انطلاقا من الترجمة في حد ذاتها. إن الموقف الترجمي مرآة عاكسة لذاتية المترجم ، إذ لا وجود للمترجم دون موقف ترجمي كما يقول برمان:

« Il n'y pas de traducteur sans position traductive. »[21]

2-3 مشروع الترجمة:

يطلق برمان عليه أيضا لفظه "visée" أو الهدف والمرمى. اعتمادا على مرحلة التحليل الأولي التي سبق الحديث عنها، فإنه يمكن للمترجم أن يحدد درجة استقلالية أو تبعية ترجمته عن/أو لـلأصل. كما يُحدَّدُ المشروع تبعا للموقف الترجمي، أو لما تفرضه خصوصيات المؤلف المراد ترجمته، إلا أن هذا المشروع لا يجسد إلا بالترجمة في حد ذاتها.

3- 3 أفق المترجم:

ويعرفه برمان على أنه مجموع المعايير الخطابية والأدبية والثقافية والتاريخية التي تسير عمل وفكر المترجم. والأفق يحدد للمترجم المجال المفتوح لعمله، وكذا المجال المغلق الذي يعزل المترجم ويحد خياراته.[22]

مراحل النقد عند برمان:

1- طريقة التحليل: تختلف باختلاف المدونة: هل يتعلق الأمر بترجمة نص منفرد (كقصيدة ما أو قصة)، أو أنه مجموعة نصوص كديوان شعري. كما قد يتعلق الأمر بنقد ترجمة واحدة أو مقارنة لعدة ترجمات.

2- مقابلة النصوص: وقد تكون مقابلة (مضاهاة) مقاطع نصية مختارة من النص المصدر مع ما يقابلها في النص الهدف، أو مقابلة المناطق النصية التي قلنا أنها تطرح إشكاليات مع ما يقابلها من النص المصدر، أو قد تدمج الطريقتان معا وتقارن مع ترجمات أخرى. كما أن هناك مقابلة الترجمة مع مشروعها للتعرف على الغاية منها وعلى ذاتية المترجم وخياراته.

3- أسلوب المقابلة: ويقصد به على وجه خاص مدى تمكن الأسلوب من إيصال الفكرة لقارئيها، فعندما توظف المصطلحات المعقدة دون شرح، أو يستشهد في النقد بأمثلة من النص المصدر الذي يفترض كونه غير مفهوم لدى القارئ أو بأمثلة أجنبية، فإن هذا يحرم النقد من مكانته الحقيقية.

4- بناء التقييم: تقييم الترجمات يعكس حتما أفكار ونظريات الناقد، ولتجنب تعرض الترجمة لتقييم مجحف في حقها، وضع برمان عاملين أساسيين يضمنان موضوعية التقييم، وهما ما أخلاقيات ومدى شعرية الترجمة Ethicité et Poéticité، فالشعرية تتمثل في ضرورة احترام شكل النص وإعادته في الترجمة، أما الأخلاقيات فتتمثل في احترام النص المصدر والتحاور والتجادل معه بالشفافية التامة اللازمة لذلك.[23]

5- تلقي الترجمة: يجب أن يُقْرن التلقي بالتقييم والتحليل للتمكن من النقد. وربط برمان إمكانية دراسة تلقي الترجمة بعدد الدراسات النقدية التي أُلِّفت حول هذه الأخيرة. إلا أن الأمر محدود، إذ إن الكثير من الترجمات لم تلق نصيبها من النقد بعد.

6- النقد المنتج: نقد الترجمات الذي يضع المبادئ الأساسية ويفتح المجال لإعادة ترجمة "retraduction" مؤلف ما يعد نقدا منتجا.

إن هذه المبادئ التي أقرها برمان من أجل نقد موضوعي للترجمات، وما أبدي حولها من ملاحظات يبين لنا أن مساره يتخطى بكثير ما اقترح قبله من مناهج، فقد حاول الإلمام بالجوانب التي يقتضيها هذا النوع من الدراسات مع تبسيطها (وهذا بدوره شرط من شروط نقد الترجمات لديه). أما ما يلي فهو عرض لنظرية كاتارينا رايس:

نقد كاتارينا رايس:

حاولت كاتارينا رايس في كتابها الصادر سنة 1971 أن تضع أسسا موضوعية وملائمة لنقد جميع أنواع الترجمات، حيث تراعى فيها متطلبات الترجمة المتمثلة أساسا في أنواع وطبيعة النصوص. فتصنيف النصوص الذي يولي اهتماما للعملية الترجمية يشكل قاعدة لتحديد الأصناف الأدبية واللسانية والبراغماتية التي تزودنا بنقاط هامة نعتمد عليها لتقييم نص مترجم.[24]

وترى رايس أن نقد الترجمات هذا لن يتمكن من إنجازه سوى الناقد الترجمي، أي أنها تخرج ميدان نقد الترجمات من النقد الأدبي. إن الناقد الأدبي الضليع في مجاله الأدبي لا يمتلك المهارات التي يتطلبها هذا النوع من الممارسة، كما قد لا يكون على إطلاع على الصعوبات التي كان على المترجم مواجهتها وتقديم الحلول لها.[25] علاوة على ذلك، فإنه على ناقد الترجمات أن يكون متحكما في اللغة المصدر واللغة الهدف، قادرا على مراجعة الترجمة ومقابلتها بالأصل، فالترجمة في حركة دؤوبة بين النص المصدر والنص الهدف، ولا وجود لنقد الترجمات في غياب المقارنة.

إن النقد الموضوعي عند رايس هو النقد الذي يمكن التحقق من صحته "Critique vérifiable" عكس النقد الاعتباطي الذي تغيب فيه التبريرات والحجج. وليكون النقدي موضوعيا عليه أن يبين دوافع الاختيارات إيجابية كنت أم سلبية مع التمثيل، كما عليه أن يتقبل الحلول الأخرى التي تقترح عليه، وأن يضع اقتراحات أفضل من التي لجأ إليها المترجم.[26]

إن الغاية من الإصرار على هذه الشروط إنما هي لحث متلقي النقد على قبول النقد والاقتداء به وبالتحليل المؤسِّس للخيارات المختلفة لكل من المترجم والناقد.

معايير نقد الترجمات عند كاتارينا رايس:

1- نقد الترجمات بناء على النص الهدف: تؤكد رايس في كتابها على ضرورة المقارنة بين النص المصدر والنص الهدف لتفادي النقد الاعتباطي والذاتي للناقد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تقترح معيار النقد على أساس النص الهدف ودون العودة إلى الأصل نظرا لأهميته التي لا يمكن الاستغناء عنها.[27] يبدو أن الأمرين متناقضان، إلا أن التفصيل فيهما يجعلنا نقول أنهما يكملان بعضهما البعض.

ومن بين الجوانب التي علينا مراعاتها للقيام بنقد بنَّاء بِنَاءً على النص الهدف: غياب الإحساس بأن النص الهدف مترجم، ومدى ملاءمة الاختيارات المعجمية "Choix lexical" ومطابقتها للاستعمال الشائع "L'usage" في اللغة الهدف، وكذا مدى التحكم في المعايير الجمالية واللغوية لها.

ومن جهة أخرى، يمكننا الاعتماد على وجود التناقضات في النص الهدف بمجرد قراءته للحكم عليه، وهذا قد يعود إلى جهل المترجم لبعض العناصر غير اللغوية "Extralinguistique"، مما ينعكس سلبا على الجانب المعنوي للنص الهدف ويخل بذلك بجوه العام "Atmosphère" وتناسقه.

2- نقد الترجمات بناء على النص المصدر: وهو مبني على مقارنة النص المترجم بأصله للتأكد من تمكن المترجم من فهم وتأويل وإيصال ما أراده كاتب الأصل.[28] وقبل الحكم على الترجمة علينا بدراسة النص المترجم من عدة جوانب: كنوع النص والعوامل داخل اللغة "Eléments intralinguistiques" والعوامل غير اللغوية "Eléments extralinguistiques" ، فالعوامل داخل-لسانية هي كل ما يتعلق باللغة من حيث المعنى والألفاظ والنحو والأسلوبية، والتي يجب أن تراعى خصوصا من حيث الترتيب لأن الترتيب هو الذي يحدد نوع النص.[29]

أما العوامل خارج- لسانية فيقصد بها السياق، حيث يحاول الناقد تقفي أثر هذه العناصر على ترتيب العناصر الخطابية في الأصل ثم في الترجمة.[30]

إن نقد الترجمات الموضوعي والملائم حسب رايس هو الذي يراعي نوع النص وما يتطلبه خلال الفعل الترجمي، بعبارات أخرى: نوع النص هو ما يحدد طريقة الترجمة وطريقة نقد الناقد لها.

أنواع النصوص عند رايس Typologie des textes

قسمت كاتارينا رايس أنواع النصوص (أو ما أطلق عليه يحياتن نمذجة النصوص) إلى أربعة أقسام نوجزها فيما يلي :

1- نصوص يغلب عليها الطابع الإعلامي Textes à dominante informative كالصحف والجرائد والتعليقات الواردة فيها، والوثائق الرسمية والمؤلفات البيداغوجية والتقارير، والوظيفة الأولى لهذا النص هي الاتصال والإعلام وهو ما يجب أخذه بعين الاعتبار.

2- نصوص يغلب عليها الطابع التعبيري Textes à dominante expressive كالنثر والشعر، وهي النصوص التي تركز على الشكل، وتعمل فيها العناصر الشكلية الموظفة من طرف الكاتب إراديا أو لا إراديا على خلق الأثر الجمالي، ويسيطر فيها الشكل على المعلومة[31] فيكون للنص شكل متفرد لا يكمن إعادته كليا في اللغة الهدف، إلا أنه على الترجمة أن تحدث أثرا جماليا معادلا لذا يجب خلق المعدلات.[33]

3- نصوص يغلب عليها الطابع الحجاجي Textes à dominante incitative كالومضات الإشهارية والدعاية، ويكون لها بنية وهدف واضح، وتحدث في المتلقي ردة فعل معينة، فهي تسعى لتحقيق الأثر المرغوب. وتسعى الترجمة بدورها إلى إحداث نفس الأثر الذي أحدثه الأصل على متلقيه، فيكون بذلك للمترجم حرية أكبر للتصرف في الشكل والمحتوى مقارنة وأنواع النصوص الأخرى، وهذا يعني أن الناقد بدوره سيجد للترجمة مواضع نقص وبعد عن الأصل.

4- النصوص الخطية-الصوتية Textes scripto-sonores وهي النصوص التي تستعين بوسائل تقنية خارج لسانية، ولا تستخدم الكتابة بل المنحنيات والسند الصوتي أو المرئي، هذا ما ينتج نوعا من الأدب الهجين Littérature hybride كالنصوص الإذاعية والتلفزية. ويجب أخذ هذه العناصر غير اللسانية بعين الاعتبار مع التحكم فيها، سواء تعلق الأمر بالمترجم أو بالناقد، بالأصل أو بالترجمات.[34] وهذا النوع من النصوص يضم أشكالا عديدة أخرى، ولمترجمها حرية أكبر نظرا لكونه يحاول إحداث وقع في نفس المتلقي كالمسرحيات مثلا.

على ناقد الترجمة أن يدرس عددا كبيرا من العناصر المتدخلة في الترجمة، الكل دون استثناء، إلا أنه يبدأ أولا بتحديد نوع النص ليبقى التزامه بعدها بالمعايير المذكورة سابقا وبالترتيب المذكور، لأن الترتيب مهم جدا، وبما أن النصوص تشترك في المعايير التصنيفية، فإن ترتيبها هو المميز لهذا النوع عن ذاك.[35]

لقد حاولنا فيما سبق أن نلخص أهم ما جاءت به نظرية وظيفة النصوص لكاتارينا رايس، حتى يتسنى لنا مقارنتها مع ما جاء به برمان فنحدد مواضع التشابه ومواضع الاختلاف، لنستخلص بعدها نقدا مشتركا نحاول تطبيقه على راوية الحريق لمحمد ديب.

أوجه الاختلاف والتشابه بين نقد الترجمات لبارمان ولرايس:

من خلال ما سبق يمكننا أن نستخلص ما يلي:

1- أول ما يمكن الإشارة إليه بعد التطرق للنظريتين هو أن نظرية بارمان أشمل وأدق، فالحدود واضحة بين الكثير من المفاهيم، في حين أن نظرية رايس التي تبدو للوهلة الأولى واضحة الأبعاد إلا أن التعمق يظهر تداخلا بين العناصر يصعب الفصل بينها، وعلى سبيل المثال المعايير التي على أساسها تصنف النصوص ويبنى عليها النقد، تكاد تكون نفسها في هذا النوع أو ذاك لذا وجب الاعتماد على ترتيبها وهو أمر ليس بالهين، وقد يكون السبب في هذا الاختلاف بين بارمان ورايس الفارق الزمني، فكاتارينا رايس نشرت نظريتها سنة 1971 وهي الفترة التي بدأت تتبلور فيها الدراسات الترجمية أي أن النمو لم

يكتمل بعد، في حين أن بارمان وضع أسس نظريته قبل وفاته سنة 1991، وهذا الفارق سمح لبارمان بالاستفادة مما وصلت إليه الدراسات الترجمية، ودراسات نقد الترجمات، والترجمات المنجزة التي شكلت مدونته.

1- تتفق كاتارينا رايس مع أنطوان برمان في كون نقد الترجمات الموجودة حينها - وهي نادرة على حد قولها - تعتمد على معايير غير مؤسسة واعتباطية وأحادية الطرف.

2- أخرجت رايس نقد الترجمات من النقد الأدبي حيث لم يكن يذكر أن المؤلف موضوع النقد عبارة عن ترجمة، واتفق معها برمان في هذا إذ أشار إلى أن نقد الترجمات كان جزءا من الدراسات الأدبية أو التاريخية ليستقل تدريجيا عنهما.

3- حاول كل من رايس وبارمان وضع أسس موضوعية وواضحة تسمح بتقييم أي نوع من الترجمات.

4- تقول رايس أنه لا نقد للترجمات في غياب المقارنة، وهذا ما ألح عليه أيضا برمان في سياق حديثه عن مقابلة النصوص، كما يشترك الاثنان في تبنيهما لفكرة أن نقد الترجمات يجب أن ينجز من طرف مترجم ناقد، يتقن اللغتين، وعلى إطلاع بالمشاكل التي قد يواجهها المترجم.

5- ترى رايس أنه على ناقد الترجمة أن يبحث عن الدوافع التي جعلت المترجم يختار حلا من الحلول، وهو ما يصطلح عليه بارمان بـ"مشروع الترجمة".

6- فيما يتعلق بالمصطلحات الأساسية: يوظف برمان مصطلحي "النقد السلبي والإيجابي"، أما رايس فتوظف مصطلحي "النقد السلبي والنقد البناء أو المنتج"، إلا أن هناك تقارب كبير بين هذه المفاهيم.

7- تتفق رايس مع بارمان على أن النقد الذاتي الاعتباطي يقتل المؤلفات في المهد، خصوصا إذا اطلع المتلقي على النقد فحسب ولم يعد للنص المصدر.

8- فكرة رايس التي تبين فيها أن النقد ينبني على النص الهدف يقترحها برمان أيضا في سياق حديثه عن القراءة المتمعنة للترجمة.

9- في الوقت الذي تتحدث فيه رايس عن المعادل الصفر للدلالة على عدم ترجمة المترجم لبعض الأجزاء التي قد تكون عبارة عن شروحات، يرى بارمان بأن تدخل المترجم من خلال الحواشي عنصر هام للتعرف على موقف المترجم.

10- وظف برمان لفظة "compromis" الاتفاق للدلالة على الموقف الترجمي، كما وظفت رايس نفس اللفظة للدلالة على اندماج الترجمة في سياقات الحياة العامة.

هذا إذا ما توصلنا إليه من خلال قراءتنا لمؤلف بارمان ومؤلف كاتارينا رايس، والملاحظة التي يمكن إبداؤها بعد هذه المقارنة هي أن هناك تشابه كبير في كيفية النظر إلى الأمور المتعلقة بالترجمة، ونرى أن هذا التشابه إنما هو لصالح الترجمة ونقدها ودراساتها، فقد بدأت تأخذ ملامح العلم الدقيق مع المحافظة على جانبها الأدبي، وهو ما يصنع اختلاف الترجمة عن سائر الميادين الأخرى.

وفيما يلي، سنحاول أن نخضع رواية "الحريق" لمحمد ديب للمنهج النقدي لبرمان وكذا النظرية الوظيفية لرايس:

رواية محمد ديب بين المنهج النقدي لبرمان والنظرية الوظيفية لرايس:

الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية هو جنس أدبي متفرد مستقل، ذو خصائص ذاتية مستمدة من البيئة التي يعيش فيها الشعب الجزائري، فيه انعكاس لروح الأمة وأمانيها وأساطيرها وتقاليدها. ورواية "الحريق" صورة فنية رائعة تدل على أصالة الكاتب ودقة ملاحظته وامتلاكه ناصية التعبير عن الحقيقية الإنسانية.[36]

طلبا للاختصار، فقد ابتعدنا عن التحليل المفصل لعبارات المدونة: وفضلنا انتقاء بعض المقاطع والتعليق عليها أو مقارنتها ببعضها البعض. والمدونة هي كما ذكرنا رواية " الحريق" لمحمد ديب

وترجمتها إلى العربية من طرف سامي دروبي وكذا أحمد بن محمد بكلي. النقطة السلبية التي لن تخدمنا هنا هي قلة الدراسات الترجمية النقدية لهذه الرواية وهو شرط تطبيق مراحل النقد عند برمان، وعليه فسننقد الترجمات التي بين أيدينا.

1- أولا: ترجمتا "الحريق" تبعا للمسار النقدي لبرمان:

مرحلة القراءة المتمعنة للترجمة:

يعتبر احترام طريقة الكتابة في اللغة الهدف معيارا هاما للحكم على الترجمات: أهي سلبية أم إيجابية، وبتطبيق هذا المعيار نجد أن ترجمة سامي دروبي جاءت في نمط كتابي باللغة العربية مألوف ومميز لهذا النوع من الروايات، لذلك يمكن الحكم عليها بأنها سليمة وإيجابية، أما ترجمة أحمد بن محمد بكلي فلم تحترم معايير الكتابة النمطية للغة الهدف: فهي مزيج بين الفصحى والعامية، وهذا يمكن أن يدفع بالناقد إلى الحكم عليها سلبا، إلا أننا إذا حاولنا الاستفادة من المعايير الأخرى لبرمان وربطها بعضها ببعض، لنستخرج الإيجابي مما هو سلبي، فإننا نتحجج بمعيار "مشروع الترجمة"، إذ إن للمترجم هدفا معينا يرجوه وهو محاولة التعريف باللهجة العامية الجزائرية لدى غيرها من اللغات، والتعريف بهذا النوع من الأدب المكتوب باللغة الفرنسية. كما يمكن ربط معيار مشروع الترجمة بمعيار التعريف بالمترجم، إذ نجد أن أحمد بن محمد بكلي ترجم أيضا لمحمد ديب روايته "المنسج" بنفس المنهجية، والنقد في هذه الحالة إيجابي.

مرحلة قراءة الأصل:

تكشف الروايتان عن وجود مناطق نصية دالة تحوي العديد من الإشكاليات الثقافية واللغوية.

الموقف الترجمي:

تتجلى النظرة الخاصة بالمترجمين نحو الترجمة من خلال الترجمة في حد ذاتها، ولكل مترجم طريقته للتوفيق بين الخطاب ودور الترجمة؛ فسامي دروبي اقترح ترجمة أدبية بأسلوب جميل فحقق بذل الاتفاق الذي تحدث عنه برمان، في حين أن أحمد بن محمد بكلي لجأ

إلى استعمال الحواشي للتعريف بموقفه الترجمي... لا تحتوي الترجمتان على مقدمات المترجم غير أن أحمد بن محمد بكلي استخدم الحواشي.

أفق المترجم:

نراه واسعا في كلتا الترجمتين فهما تحويان الحوار وأسلوب الرواية وتجمعان حقائق تاريخية وثقافية. كما يمكننا تطبيق مراحل التحليل عند برمان من خلال مقابلة النصوص ومقارنتها وتقييمها ودراسة تلقيها.

عن مقابلة النصوص:

عند قراءتنا لترجمة أحمد بن محمد بكلي، التي يقول فيها: "تم اقتياد "ماما بنت عَدْري" في يوم من الأيام من دار اسبيطار"[37] وترجمة سامي دروبي، التي يقول فيها: "اقتيدت ماما بنت قدري ذات يوم من دار اسبيطار"،[38] فإننا نلاحظ حتما عدم التوافق بين ما قيل في الترجمتين؛ أي أن هناك مناطق نصية تطرح إشكالات، لذلك ولرفع اللبس، يتعين علينا العودة إلى الأصل للتأكد من صحة الترجمتين. والأصل في هذه الحالة يقول: De Dar Sbitar, Mama bent Adri avait été conduite.[39]، والنص المصدر هو الوحيد القادر على الفصل بين الترجمتين، لنقول إن ترجمة أحمد بن محمد بكلي أقرب للمصدر من ترجمة سامي دروبي.

2- ثانيا: ترجمتا "الحريق" تبعا للنظرية الوظيفية لكاتارينا رايس نقد الترجمات بناء على النص الهدف:

عن غياب الإحساس بالترجمة:

ترجمة سامي دروبي وكأنها أصل مكتوب باللغة العربية يتميز بسلاسة التعبير واختيار الكلمات.. في حين أن ترجمة أحمد بن محمد بكلي يمكن أن تشكل نوعا من الكتابة تتميز به الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، وهي طريقة أخرى للتعبير عما أورده محمد ديب في مؤلفه، وهو مبدأ النظرية الوظيفية.

نقد الترجمات بناء على النص المصدر:

استطاعت ترجمتا سامي دروبي وأحمد بن محمد بكلي إلى حد كبير من إيصال ما أراده محمد ديب في قالب أدبي جمالي، وهذا وفقا لما يقتضيه الجنس الأدبي.

عن نوع النص:

يغلب عليه الطابع التعبيري إلا أنه يحوي مقاطع إعلامية تاريخية تصف للمتلقي الوضعية العامة خلال تلك الفترة.

الخاتمة:

إن أي مجال من مجالات الترجمة يستدعي التعمق فيه لإثرائه، ونقد الترجمات بدوره يحتاج إلى المزيد من البحث، لذلك أردنا، من خلال مداخلتنا، أن نسلط الضوء على ما جاء في الكتابين من نظريات مع محاولة تطبيقهما على رواية محمد ديب التي تنتمي إلى الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية. ونتمنى أن تكون وجهة النظر هذه قد أفادت ولو بالقليل الباحثين في هذا الميدان المتشعب من الترجمة.

هوامش:

* مداخلة تم إلقاؤها بمناسبة انعقاد الملتقى الدولي الثالث عشر حول "إستراتيجية الترجمة: نقد الترجمات" الذي نظمه مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن بجامعة وهران1، أيام 12، 13 و14 ماي 2013.

1- Joelle Redouane, Encyclopédie de la traduction, Alger, OPU,1985, p4.

2- Jeremy Munday, Introducing translation studies, London & New York, Routeledge, 2001, p10.

3- Susan Bassnett, Translation studies, London & New York, Routeledge, Taylor & Francis group, 2002, p46.

4- Ibid. p16.

5- يوجين نايدا، نحو علم الترجمة، تر: ماجد النجار، مطبوعات وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية، 1976، ص 350.

6- Antoine Berman, Pour une critique des traductions: John Donne, Paris, Editions Gallimard, 1995, p14.

7- Ibid. p35.

8- Ibid. p40.

9- Ibid. p37.

10- Ibid. p41.

11- Ibid. p37.

12- Ibid. p38.

13- Ibid. pp13-14.

14- Ibid. p66.

15- Ibid. p13. Mais il dit également "… que ce domaine a vu le jour au 18ème siècle", p41.

16- Ibid. p45.

17- Ibid. p64.

18- Ibid. p65.

19- رحمة زقادة، منهجية الترجمة الأدبية عند إنعام بيوض، ترجمة رواية "L'écrivain" لياسمينة خضرة نموذجا، مذكرة ماجستير في الترجمة، جامعة قسنطينة، ص23.

20- Antoine Berman, Op.cit., p69.

21- رحمة زقادة، م.س، ص23.

22- Antoine Berman, Op.cit., p75.

23- Ibid. p80.

24- www.erudit.org

25- Katharina Reiss, La critique des traductions: ses possibilités et ses limites, Arras, Artois Presses Université, 2002, p12.
26- Ibid. p15.

27- Ibid. p18.

28- Ibid. p24.

29- Ibid. p31.

30- Ibid. p73.

31- Ibid. p112.

32- Ibid. p49.

33- Ibid. p50.

34- Ibid. p63.

35- Ibid. p68.

36- Afifa Bererhi, Mohammed Dib, Blida, Editions du Tell, 2003.

37- محمد ديب، الحريق، تر: محمد بن أحمد بكلي، دار سيديا، الجزائر، 2011، ص18.

38- محمد ديب، الحريق، تر: سامي دروبي، مكتبة أطلس، سوريا، د:ت. ص12.

39- Mohammed Dib. L'incendie. Paris. Editions du Seuil. 1954. p11.